

صاحب الجلالة يخطب مستخلصا العبر من الاستفتاء الدستوري

فاس ـــ وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني من القصر الملكي بفاس خطاباً استخلص فيه العبر من الاستفتاء الذي سيجري يوم الجمعة المقبل لتعديل الفصل 21 من الدستور المتعلق بسن رشد الملك ومجلس الوصاية.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾

شعبي العزيز

كان بالامكان أن لا أخاطبك اليوم مكتفياً بالخطاب الذي ألقيته حينما افتتحت الحملة الاستفتائية، واكتفاء كذلك بما ألقى عليك سواء بواسطة الاذاعة والتلفزيون أو في المهرجانات الشعبية من تبيانات ومن تفسيرات، وإن كان ذلك يشفي الغليل فأعتقد أن هناك مسائل لا يمكن أن يوضحها إلا أب الأسرة الكبرى الذي استأمنه الله سبحانه وتعالى على مصيرك وعلى معيشتك وحتى على يومك وأمسك.

وحتى يمكن أن نفي بما نريد ونصل إلى الأذهان وإلى اعماق الأرواح والقلوب، قررنا أن نخاطبك بلغتنا الدارجة.

قلت الأذهان والقلوب، لأن الموضوع الذي استفتيناك فيه لا يجب أن يتغلب فيه الوجدان والعواطف على العقل، كما أن العقل يجب أن يقف عند حده، لأن التساكن بين أفراد الأسرة لا يخضع لقانون العاطفة وإلا وقعوا في الشطط، ولن يقعوا كذلك في اطار التعقل لأنه يوصل إلى البرودة، فاذا كان المخاطبون هم اسرتي الكبرى واعطوني ولو لمدة وجيزة عقلهم وقلبهم في آن واحد فأعتقد أن كل واحد منا وأنا على رأسكم سيمكنه أن يذهب يوم الجمعة للاقتراع وحينما نكون أمام انفسنا وضمائرنا سنختار هل سنقول نعم أم سنقول لا ؟

فحديثي اليوم مبني على نقطتين : نقطة حول بعض الملاحظات التي أظن أنها وجيهة ومشرفة في آن واحد لشعبي، أي لشركائي، لأنكم بعدما تقولون نعم سوف تصبحون شركائي.

والسبب الثاني هو تساؤل شعرت به ومن اليوم الأول، وإن هذا السؤال ضروري أن يطرح، وإذا لم يطرح فلن تكون اللعبة قد لعبت «وليس اللعب» ولن تكون قد مارست المسؤولية في عمقها التي طلبت منك ممارستها، لأنك ستكون سطحيا، ولكن ـــ ولله الحمد ـــ ان ذاك لم يصبح السؤال الذي كنت انتظره سؤالاً بل أصبح تساؤلا.

فلنبدأ على بركة الله بالنقطة الأولى.

الملاحظة الأولى : هو أنه حسبما أسمع وما أرى، وكما قلت لك كانت لي حساسية خاصة بالنسبة لك شعبي العزيز، يمكنني ولو من بعيد أن أجس نبضك وأعرف ضغطك الدموي، ظهر لي أن هذا الاستفتاء أخذ



بمجامعك وحرك عواطفك، بل يمكنني أن أقول : انه جنّد جميع مكوناتك كرجل، كأب عائلة ينظر إلى المستقبل هو أيضاً بالنسبة لأولاده كمواطن وقبل كل شيء وفي نهاية كل شيء كمغربي، والمغربي — ولله الحمد — هو مثل ذلك الثعبان — وحينا أقول الثعبان — ليس «بالحنش»، الثعبان لأنه شريف وهو الذي يعض في مؤخرته لا أول له ولا آخر، فهو حلقة من حلقات التاريخ، وهو طرف، والله سيغفر لي هذا النوع من العجب، ولكن هذا عجب 20 مليون من المسلمين، والله يحب العبد الملحاح، لأنك لم تعد من شعوب الأرض بالنسبة لي، أنت كوكب من كواكب الفلك، إذن شعرت أنك في هذا الاستفتاء تحركت بكيفية خاصة وحاولت أن اتساءل، لماذا ؟ فوصلت إلى نتيجة أنه في الاستفتاء الأول والثاني والثالث عرضت عليك دستوراً وطلبت أن تقول فيه نعم أو لا بكيفية مجملة، وفي هذه المرة لم آت بدستور، بل طلبت منك أن تقول لي هل التحرير، وليست الأفكار فحسب، بل تحرير التعديلات التي اردنا ادخالها، هل هي موافقة لوجدانك وحساسيتك، وحاستك السادسة ؟ وهل هي موافقة كذلك لتحليلاتك كمواطن وكأب في المستقبل وكمشارك في الأمانة ؟ اذن شعرت بأن مهمتك في هذا الاستفتاء بجوابك بنعم أو بلا ليست هي مهمة القبول أو الرفض، بل اصبحت مهمة مشرّع، مهمة إنسان كأنه في مجلس تأسيسي يؤسس الدستور، وها أنت قد رأيت شعبي العزيز أننا قد وصلنا إليه ها نحن قد وصلنا إلى المجلس التأسيسي جميعاً دون أخطار ومخاوف هذا المجلس.

أيام سيدنا رحمه الله والدي وفي آخر عمره كنا نسمع بالمطالبة بالمجلس التأسيسي، ومعناه أنه هو الذي سيضع الدستور أراد الله أن لا يكون المجلس التأسيسي، وأحمد الله على ذلك وحمد الله جميع المغاربة العقلاء والذين عاشوا حقيقة تلك الظروف على أن المجلس التأسيسي لم يكن، وعرضنا الدستور على الشعب، وها نحن اليوم وفي أقل من سبع عشرة سنة أصبحت لا أحزاباً دون أحزاب، ولا أغلبية دون أغلبية، ولا أسرة سياسية دون أسرة سياسية، بل الشعب بأجمعه أصبح مجلساً تأسيسياً، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن نضج الشعب المغربي وتشبثه ليس فقط بأصالته بل بالمحافظة على أصالته، جعله أهلا لأن يكون مشاركاً في التحرير حرفا حرفا حتى في فصول الدستور وبنوده، فاذن هذه هي الملاحظة الأولى.

اقبال بكيفية خاصة، وهذا هو الاقبال العقلاني، فالمغرب والمغاربة يشاركون في تحرير فصل من فصوله.

بالطبع الدافع الثاني : إنك تعرف مكانة الشعب في قلب الملك وتعرف كذلك — ولله الحمد — مكانة الملك في قلبك، فهنا التقى العقل والوجدان كما قلت في البداية، إنك أصبحت مسؤولا عقليا لفهم البنود ومضمونها ومنطوقها ومفهومها، وبذلك أرضيت نباهتك وعقلك ومعرفتك بالأمور، والتقت هذه المسألة مع مسألة عاطفية جداً، تمسك في صميم قلبك وروحك وبدنك، وأصبحت المسألة مسألة التحام وهو أننا نشرع فيما يخص المسؤول الذي سيكون المسؤول عن هذه الأسرة الكبرى.

إذن الملاحظة الأولى حيوية خاصة بالنسبة للاستفتاء.

والملاحظة الثانية : هي أن الله سبحانه وتعالى يوتي عباده الصالحين الشيء الذي لم يكونوا في انتظاره، فحينما قررت أن يصوت جميع المغاربة في هذا الاستفتاء وقلت انه سيكون شططاً بالنسبة لمئات الآلاف من المواطنين الموجودين في الخارج أن لا يصوتوا، كان ذلك حقيقة نابعاً فقط من فضيلة وطنية، أقول : انه ليس من الانصاف أن ينهي اولئك المواطنون عملهم ويأتوا في عطلة، وسوف يتفرقون في المغرب ويسمعون بحدث فيكونون أجانب عنه، لابد إذن من مشاركتهم فيه، لأنه بمقتضى الدستور ربما يكون لذلك العامل الموجود في فرنسا أو هولندة أو في ألمانيا أو كندا أو اسبانيا ابن أو حفيد في أحد الأيام عضوا من أعضاء مجلس الوصاية،

فليس من حقنا أن نمنعه، من النظر في الموضوع، ولا من قول نعم أو لا في الموضوع.

ولما وقع ونزل، وبدأ المغاربة ــ والحمد لله ــ يتسابقون في قنصلياتنا بالخارج ليسجلوا أنفسهم، اذذاك قلت سبحان الله، إننا أردناها فضيلة خاصة عائلية، فإذا به سبحانه وتعالى يضفي برهاناً ــ اذا كان هذا التعبير صحيحاً في اللغة العربية أو في الشعر غير المقفى ــ على أننا دولة حرة، وعلى أننا حتى في الخارج لا نراقب الأصوات فبالأحرى في الداخل، وعلى أننا نفوض بعد الله الاختيار إلى الشعب، كان هنا في فاس، أو في لاهاي، أو في بوردو، أو اوتاوة، أو كيبك.

وأظن شعبي العزيز أن هذه من المفاخر التي يجب عليك أن تسجلها، لأنه لا أظن أن هناك سابقة لدولة من دول العالم الثالث سمحت لمواطنيها الموجودين خارج بلدها أن يصوتوا.

وهذه كذلك إن دلت على شيء فإنما تدل على أن ديمقراطيتنا ليست جوفاء، ولكنها في الحقيقة ديمقراطية مبنية على الثقة المتبادلة، علماً منا أننا سائرون على المحجة البيضاء، لأنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «ما اجتمعت أمتي على ضلال»، وسواء كانت هنا أو كانت هناك لا يمكن لأمة النبي صلى الله عليه وسلم التي اصطفاها وهداها، أن تجتمع على ضلال.

وهكذا يمكن للمغرب أن يقول : إن فلاناً وفلاناً صوتوا هنا والآخر هناك في القنصليات في بلاد أجنبية بدون ضغط، وأعطيت لهم كامل الحرية، بل ألقي عليهم هذا الواجب، لماذا ؟ لأن المؤتمن عليهم والذي هو منهم وإليهم، ولأن المسؤول عنهم عرَفهم فقدرهم فكرَّمهم فأعطاهم المسؤولية.

هاتان ــ شعبي العزيز ــ هما الملاحظتان اللتان أردت أن يتضمنهما حديثي إليك.

القسم الثاني هو التساؤل : لماذا سيتحول سن الرشد من 18 إلى 16 سنة ؟ ولكم الحق شعبي العزيز أعضاء الأسرة الكبرى في أن تطرحوا هذا السؤال، ولكن كان من الممكن أن أجيبكم عنه بواسطة بلاغ أو بيان أكلف أحداً بالقائه، بيد أن هذا الموضوع لا يمكن أن يتطرق إليه أحدٌ سواي، لأنه لا يمكن أن يتطرق لموضوع أخيكم سواي، لأن ولي العهد الآن وفي المستقبل هو أخوكم، وأخو الجميع، وكما أنه مؤتمن عليكم، فإنكم مؤتمنون عليه، ولما تأتي مسألة اسروية فلا يمكن أن يتذاكر في موضوعها سوى رئيس العائلة، فقبل اليوم كانت عندي رئاستان : رئاسة العائلة الصغرى، ورئاسة العائلة الكبرى، واليوم ــ ولله الحمد ــ حققت وصية أبي ــ رحمه الله ــ يوم نصبني ولياً للعهد، وحينما أوصاني بأسرتي الصغرى وأسرتي الكبرى، فبا رحمة من الله جعل سبحانه وتعالى أغراضه وأحلامه تتحقق، واليوم لم يبق عندي انشغالات، ولم تبق عندي قبلتان، بل عندي قبلة واحدة، ولم يبق لي أن أقول عندي الأسرة الكبرى والأسرة الصغرى، بل عندما أتكلم أقول أسرتي، علما بأن ولدي ولدكم وحفيدي حفيدكم، وأحفاد أحفادي ــ إن أراد الله ــ هم منكم وإليكم.

إذن لنرجع إلى التساؤلات وإلى ما كنا بصدده، سأحدثكم عن جانب من جوانب تاريخ المغرب قَلَّ من يعرفه والذي رويته شخصياً عن ثلاث من عماتي مسنات بنات مولاي الحسن الأول رحمة الله عليهم كلهم، وهن للا أم كلثوم رحمها الله، وللا نزهة رحمها الله، وللا شريف يرحم الجميع وهن أخوات مولاي عبد العزيز، وبنات مولاي الحسن.

وكما تعلمون، فإن مولاي عبد العزيز كان أصغر اخوانه، ولم يأخذ له مولاي الحسن البيعة، ولكن في أحد الأيام لما كان خارجاً من المحلة جاء لزيارته، فأخذ له مولاي الحسن الركاب ليصعد مولاي عبد العزيز



على الفرس، وأخذ بلجام فرسه إلى أن أخرجه عن وثاق المحلة، فهل معنى هذا أن مولاي الحسن أراد بذلك أن يأخذ البيعة لأبنه ؟ أم أخذها الناس فقط وأرادوا أن يطبقوا القياس ويقولوا : حينما اتكأ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأمره أن يصلي بالناس وصلى وراءه، كان ذلك كافياً.

المهم أنني ما أظن أن مولاي الحسن بعمله كان يقصد أن يبايع مولاي عبد العزيز من بعده، لماذا ؟ لأن أعمال العقلاء منزهة عن العبث، فليس مولاي الحسن الذي قضى طول حياته وهو على ظهر فرسه سيأتي في الأخير ويضع في كفة الشيء الذي لم يقض اثناءه أكثر من شهر في قصر من قصوره ويضع في كفة أخرى شاباً أنيقا ذكياً ولكنه صغير ا لسن، وربما لأغراض ما أظهر أحماد وضخم ذلك العمل الذي قام به مولاي الحسن إزاء مولاي عبد العزيز وأعطاه أكثر من حجمه.

وهنا تأتي عماتي رحمهن الله.

فأم مولاي عبد العزيز كان اسمها أم سيدي رقية، ولما ادخل عليها أحماد في الرباط مولاي عبد العزيز منصوراً كان الناس يزغردون وهي تبكي وتقول له : حرام عليك ياأحماد، حرام عليك ياأحماد ليس لك الحق لأن تعرض ولدي لهذا الخطر، ولأن تعرّضَ مصالح الناس للهلاك.

طيب وانطلاقا من هذا ماذا وقع ؟

الذي وقع أن مولاي عبد العزيز وجد بعد احماد،المنبهي، و لم يكن بأحسن من ذاك، فمولاي عبد العزيز كان عمره 14 أو 15 سنة، وكانت قد ظهرت الدراجة فأركبه الدراجة، وكان قد ظهر القطار الصغير فاشترى له القطار الصغير، وباختصار أتوا له بجميع الملاهي، وكان الملك مولاي عبد العزيز رحمه الله في سن كان من المستحيل علينا أن نحكم عليه أنه أخل بالأمانة، فليس في سن البلوغ والمراهقة يتوجه الانسان إلى العمل ويترك الملاهي، بل سيقع العكس.

طيب، إذن لنفرض أننا قلنا : إن الملك لا يبدأ في ممارسة مسؤوليته إلا إذا بلغ سن الثامنة عشرة، فماذا سيظل يعمل هذا الرجل من 14 إلى 15 إلى 16 سنة ؟ ألا يجد أناساً مدفوعين إما من الداخل أو من الخارج ليعطوه آخر سيارة أو يأتوا له بآخر يخت، أو سيقولون له لتذهب إلى كرنفال ريو، ولنذهب إلى كوبا كبانا لرقص السامبا، ولنذهب لرؤية كأس العالم، ألا يكون هناك من يأتون له بفتيات أو مانكان، أو سيدات من كل مكان ؟ إذن سيبقى هذا الرجل يسير على هواه ليس له أي وازع ولا مانع، وليس له أي دافع إلى أن يبلغ الثامنة عشرة، فإذا بقي على هذه الحال فالأفضل أن يذهب إلى حال سبيله اذا بلغ الثامنة عشرة، وتعطيه الدولة معاشاً وتأتي بآخر.

ثانيا : في هذه المدة التي لن يكون له فيها عمل، لأنه حسب الدستور القديم لا يمارس مهامه الا في سن الثامنة عشرة، سوف يجد نفسه في وضع يرى من بعيد وكأن أمامه خصوماً وأن هذا الدستور يمنعه من ممارسة مهامه، ويرى أن هذا الدستور يبعده عن الشعور بأنه رجل، ويرى الحكومة بعين، ويرى البرلمان بعين أخرى بل سيقول : إن هذا الشعب أراد لي أن أبقى معزولا عن كل مسؤولية وأن أعيش عيشة البهائم.

دع المكارم لا تنهض لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

إما سيكره هذه المؤسسة الدستورية التي جعلت بينه وبين المسؤولية حاجزاً مانعاً، واما سيكبت وينطفيء

وتضيع شخصيته، وفي الوقت الذي سيختاجه المغرب سيجد نفسه متخوفا ومرتعداً، واذا كان خجولا بعض الشيء، فإنه لن يعرف الوقت الذي يكون فيه على ملك البلاد أن يقول نعم أو لا، فإذن سيوجد أمام اخطار متمثلة في الاغراء أو الرشوة الفكرية أو الملاهي، وربما في ذلك الوقت، ونحن لا نتحدث عن الوقت الحاضر، بل نتحدث عن مئة سنة، ربما سيقولون له لنذهب إلى سور بريز بارتي بل قد يستدعى لقضاء عطلة أسبوعية في القمر اذ قد يصل الأمر ربما إلى هذا الحد، فيذهب لقضاء نهاية الأسبوع في القمر.

إذن كان سيدخل المعركة فيجب أن يدخلها قبل أن يعوج نهائيا، وثانيا حتى إذا دخلها فسيكون بجانبه مجلس وصاية، ومجلس الوصاية ليس مكونا عبثاً من أي واحد، فإذا كان ثلاثة أعضاء مفروضين فإن فرضهم جاء باستحقاق، لأن الأول ترق في جميع مدارج القضاء وتوفرت فيه جميع الشروط، المروءة والدين والأخلاق والاستقامة والنزاهة، والآخر رئيس مجلس النواب، إذن هو نخبة من المنتخبين، والثالث رئيس المجلس العلمي للعاصمة، وليس مفروضاً أن يكون رئيس المجلس العلمي للعاصمة رباطيا إذ يمكن أن يكون فاسيا، أو مكناسياً، ويمكن أن يكون من كل جهة من بلاد المغرب.

إذن زيادة على هذه الضمانات الثلاث، فهذا الملك الذي له الحق في تسمية عشرة أشخاص، هل سيكون اختياره اختياراً سيئاً ؟ وهل سيكون ذا شفقة على اسرته بأسرها فيترك إلى جانب ولده رفقاءه، فمثلا أخذ مني كمثال : فمن حسن حظي أنه لما توفي والدي رحمه الله كان في الحكومة أكثر من سبعة وعشرين عضواً، ولم يمر أكثر من خمسة عشر يوما حتى وجدنا أنفسنا ثلاثة عشر في المجلس، اذ فرَّ عدد من الفئران من المركب خوفا منهم مسبقاً من أن يغرق المركب، فمن وجدت آنذاك ؟ وجدت الرفاق الذين اشتغلوا مع والدي، وسأبدأ بذكر الأموات ثم الأحياء، وجدت السيد البكاي رحمه الله، والسيد المحمدي رحمه الله، والسيد مسعود الشيكر رحمة الله عليه، والسيد محمد الزغاري رحمه الله، والسيد أحمد رضا جديرة الذي لا يزال على قيد الحياة وكان وزيراً كذلك، والسيد الحمياني، واذا ما نسيت البعض فليسمح لي لأنني نسيته، ونحن الآن بصدد تعداد عاطفي وليس تعداداً تاريخياً، وكيفما كان الحال وجدت أناساً رأيتهم يجلسون مع أبي لمدة سنين، إما يتناولون معه الطعام، أو يتحادثون ويتذاكرون معه، ويعيرهم اهتمامه ويأخذ برأيهم ويناقشهم، وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم فلقد نسيت السيد علال الفاسي رحمه الله، والسيد الحاج أحمد بلافريج، أما محمد بوستة، ومحمد الدويري فلقد كانوا من الجيل الذي لم يصعد إلى الحكومة من الأول، ولكن ليس معنى هذا أنهم ليسوا رفقاء، ووجدت السيد بوشعيب اليزيدي، والحاج عمر بن عبد الجليل، والسيد محمد بلحسن الوزاني رحمه الله، المهم أنني وجدت ثلة من الناس من جميع الآفاق ومن جميع الأسر التقليدية في تكوينها أو الحديثة، ولكن لم أر فيهم الخصوم، بل رأيت فيهم أناساً يمكن لي أن اركن إلى نصيحتهم وإلى رأيهم، علماً مني بأن أبي رحمه الله كان ينصت إليهم ويريد معرفة آرائهم.

اذن من هو هذا الملك الذي سيترك مجلس وصاية لا يتوفر على تلاحم بينه وبين ولي عهده ؟

لهذا شعبي العزيز، من مصلحة الأسرة الكبرى — والآن أقول لمصلحتك — أن يمارس المسؤول عنها في أقرب المسؤولية، لأن مهنتنا هي فعلا اذا كان يصح فيها قول التكوين المهني فانها التكوين المهني بدون اختيار، ففي اليوم الذي ولدت وكبرت لم يقولوا لي هل تريد أن تتعلم النجارة، أو الموسيقى، أو النحت، أو نعلمك الفن، أو الطيران لم يقولوا ذلك، بل قيل لي أحببت أم كرهت، هذا هو شغلك، اذا نجحت فذاك، وإذا لم تنجح فهذا هو ميدان عملك الوحيد وليس أمامك أي مجال للشغل، وفيما اذا لم انجح سيكون علي أن اتعلم

شيئا آخر، وهذا خطر، هذه مهنتنا، بحيث اذا لم ينجح المرء فيها لا يجد أي منفذ آخر، وإذن فالتكوين المهني عندنا تكوين يومي.

وإياك أن تظن شعبي العزيز أن رئيس هذه الأسرة يمكنه بين عشية وضحاها أن يشرئب إلى الأمور لكي ينظر إليها ويحجمها ويحسمها بالرأي السديد، اذن التكوين المهني يومي، وإلى الآن وبعد تسع عشرة سنة ونيف لا أزال أتكون.

فمن مصلحة الجميع أن يمارس الملك مسؤوليته في أقرب الأوقات لا أن يتركها حتى سن الثامنة عشرة وهو يلعب ويلهو ثم نقول له لنتحدث عن المخطط، فيجيب أي مخطط وما معناه ونقول له : لنتحدث في الاقتصاد الجهوي فيقول هل الجهوي بمعنى جهة الرباط أو جهة افريقيا الشمالية ؟ وهلم جرا.

من مصلحة الجميع أن يمارس الملك مسؤوليته في سن السادسة عشرة لا في الثامنة عشرة.

من مصلحة الجميع أن يكون كامل الشخصية.

من مصلحة الجميع أن لا يحقد على المؤسسات الدستورية التي ستكون حاجزاً بينه وبين أن يكون ملكاً، بمعنى أن يعيش وهو يفكر كيف يمحو هذا البرلمان وهذا الدستور وهذه الحكومة ومجلس الوصاية التي حالت دون تفتحه.

إن المرء لا يشرع للشاذ، وإنما يشرع للعام، وأملي في الله أن يكون حفدتي ممجبولين على الخير، ولا يميلون إلى حب الملك من أجل الملك، وحتى اذا مالوا فإن الدستور يمنعهم، اذ هناك بعض المسائل ممنوع علي استعمالها، اعطيك مثلا : فالقاضي له حقوق أكثر مني، اذ القاضي يمكنه أن يطلق سراح شخص اذا كان في السجن قبل صدور الحكم عليه، أما أنا فلا يمكن لي أن أعفو عنه إلا اذا صدر في حقه الحكم.

بعد هذا التفسير اذا ما استمر أي أحد في التساؤل أظن أنه سيكون عن سوء نية.

اطلت بعض الشيء شعبي العزيز في هذه النقطة، ولكن كان من الواجب علي أن اطيل لأنه لحد الآن كانت عليك شعبي العزيز واجبات معروفة دستوريا : انك تؤدي ضرائب، انك تحارب لحماية دولتك وبلادك، إنك تقوم بجميع الواجبات التي يقوم بها المواطن، ولكن الآن أنت مطوق بشيء آخر، مطوق بأمانة السهر فيما اذا اقتضى الحال ومات الملك وترك ولي عهده صغير السن، مطوق بأن تسهر عليه حتى يصل إلى ذلك السن، سن الرشد الذي يجب أن لا يكون 18 سنة لأنه اذا ابتلي بمصيبة فلن يبقى مجال لمعالجته، واذا كان عليه أن يخوض مسؤوليته فليخضها وليسبح في الحين، وبما أنك ستصبح مطوقاً بأمانة جديدة، أطلت الحديث معك شعبي العزيز.

بعد غد سنذهب إلى الاقتراع، والمهم أن تقول كلمتك، تقول نعم أو تقول لا، فما الذي دعاك لتقول لا، لا أرغب في أن أعرف ذلك لأن الأحسن عدو الحسن، ولا يمكن نظرياً أن نفعل أحسن مما فعلنا، والذي قال لا في نظري من حقه أن يقولها، ولكن المبرر الوطني المنطقي والمحرك المخلص، أظن أنه سيكون منعدماً، ولكن كيفما كان الحال لكم الحرية في أن تقولوا لا، كما لكم الحرية في أن تقولوا نعم، وأقول للناس الذين سيقولون نعم وهم يبلغون سن الواحد والعشرين، ان نعم التي ستقولونها يوم الجمعة ستجري عليهم طوال عمرهم، وأن ملوك المغرب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هؤلاء الملوك الذين تقل أعمارهم عن السادسة

عشرة سيكونون في أعناق جميع المغاربة وجميع المغربيات، لأنهم بالنسبة لي أصبحوا اصهاراً.

فكل مغربية يجب أن تفكر بأنها اذا انجبت — ولا اتحدث عن ولي العهد لأنه كبر ولله الحمد — فقد انجبت أحفادي، وإنما أحفاد أحفادي وكل امرأة في المغرب يجب أن تعتبر أنها تصاهرت معنا، وكل رجل في المغرب يعتبر نفسه إما عما أو جداًمن الآن إلى يوم القيامة أبا أو جداً أو عما لملك المغرب ذلك الذي أراد له الله أن يشب وهو يتيم، ويتربى وهو يتيم، ويتكون وهو يتيم، لا ملجأ له إلا فطرته والدم الذي يجري في عروقه لن يتنكر لخلاياه ومجلس الوصاية الذي ستوافق عليه أنت شعبي العزيز اذ ليس هذا المجلس مجلسا نزل من المريخ، وليس مجلس وصاية مطبوعاً بمعزل عنك، انه مجلس منك وإليك.

لهذا شعبي العزيز اعتقد أن الكمال لله، حاولت حقيقة أن اصون هذا البلد بأكثر ما يمكن من الساحات الحائطية سياسيا وقانونيا، علما مني وأقولها بكل صراحة لأنه لو لم أكن ملكاً للمغرب لكنت أردد في الشارع يحيا الملك، علما مني بأن هذا البلد وهذا الشعب لم يقدما ما قدما، ولم ينتجا ما انتجا الا لأنهما عاشا في ظل الملكية، ولقد رأينا أنه كلما كانت تلك الملكية جائرة أو ضعيفة أو متجاهلة لحقوق المواطنين انتفض المغاربة وقالوا : اللهم ان هذا لمنكر.

وأظن شخصيا أن الملك أرضى ضمير المواطن المغربي، فأنا كذلك لي ضميران، وإن كانا يتشابهان الواحد في قلب الآخر، فالملك حاول على ما اعتقد في هذا الباب أن يرضي المغرب.

وتعرفون شيئاً آخر هو أنه لو كان الاختيار فسيكون — وادعو الله أن لا يوضع أي أحد أمام هذا الاختيار — بينكم وبين فلذة كبدي، فانكم تعرفون أنني لا يمكنني أن اتنكر لأجدادي، فمولاي اسماعيل رحمه الله أقام الحد على ولده سيدي محمد العالم، ولو أن العلماء جاؤوا من انحاء المغرب ليتشفعوا فيه، ومولاي سليمان ترك الملك لأولاد أخيه، وقليل في التاريخ وربما فيه من يزيل الملك لأعقابه ويعطيه لآخر.

والدي رحمه الله كان قبل نفينا بخمسة عشر يوماً قد قال لي : هل تعرف أننا لا نتوفر على جيش في المغرب، وليس لدينا شرطة، وحتى ميزانية ومالية البلاد ليست بيدنا، قلت : هذا معروف، فقال لي : ليس بيدنا سوى أنفسنا، فقلت : ماذا تقصد ؟ قال لي : سأزج بي وبكم، فأنا كبرت وقد ولدتكم وكونت حياتي، ولكن سواء أنت أو اخوانك وبالأخص البنات اللائي لم يتزوجن بعد لم تستكملوا دراستكم العليا، فقلت له نعم ياسيدي أعمل جزاك الله خيراً ما تريد أن تعلمه وكأنك لا أولاد ولا بنات لك، افعل وكأنك عازب.

إن الملوك العلويين وضعوا أمام اختيارات، ولست أنا بالذي لا يعرف الاختيار، وأقول الحمد لله، ان أولادي نجباء يحبون بلدهم وأنتم تحبونهم وهم يحبونكم، وإنني لأتحدث عن المستقبل، وفي المستقبل أرجو الله سبحانه وتعالى أن يبقى الشعب المغربي هو الشعب الذي أعرفه، وأن يبقى المسؤولون على هذه الأسرة وعلى هذا العرش في المستوى الذي عودك الله، والله يعلم ما في القلب، وهذا الاصلاح لم أقم به إلا لأنني مؤمن به، فأرجو الله سبحانه أن يثيبني عليه إلى يوم القيامة ان كان صالحاً ومجدياً.

ربي سأدعو بدعاء الجمع وان كان قد جاء في القرآن بصيغة المفرد، فانني سأدعو بصيغة الجمع لي ولأسرتي الكبيرة : ربنا قد أتيتنا من الملك، وعلمتنا من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض، أنت ولينا في الدنيا والآخرة، توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

الأربعاء 6 رجب 1400 — 21 مايو 1980